مجلة المختار للعلوم الإنسانية 31 (1): 40-57، 2015

Research Article Open Access

التجديد عند ابن مالك وأثره في التعليم المعاصر

سعد عبد الرحمن عثمان سعد

قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة عمر المختار، فرع القبة

Doi: https://doi.org/10.54172/nqxeg773

المستخلص : إن التجديد الذي يمثله منهج التأليف عند ابن مالك، قد قسم النحو، فنظم رؤوس المسائل إلى أبواب وفروعها إلى فصول مما يعد من أحدث مناهج التأليف، وهذا كله واضح في التسهيل خاصة، كما يعد ابن مالك إمام النظم في علوم العربية، فمن الكتب المؤلفة في ذلك شرح الكافية الشافية والألفية وهي أهمها، كما أن السمة الغالبة على أسلوب ابن مالك هي السهولة والتيسير في كل ما ذهب إليه من آراء واتجاهات،كما تميز ابن مالك بأسلوب المزج بين آراء المدارس النحوية المشهورة.

أما شواهده فهو يستمدها من القرآن الكريم،وأخذ بالقراءات لأن القراءة سنة، والحديث الشريف الذي اتخذ منه لغة، ثم الشعر الذي اتخذ منه موقفا محايدا من بين الكوفيين والبصريين، وقد بينت كل ذلك بالشواهد، ولاننسى أن للرجل آراء انفرد بها تميز بها عن غيره، كما أن له موقفا من المصطلحات يعتبر موقف المجتهد والمجدد والمتحرر من عبودية التقديس للقديم.

الكلمات المفتاحية: منهج التجديد – الشعر – المدارس النحوية

Renewal according to Ibn Malik and its impact on contemporary education

Saad Abdel Rahman Othman Saad

Department of Arabic Language, College of Education, Omar Al-Mukhtar University, Al-Qubba Branch

Abstract: The innovative approach of Ibn Malik in the field of Arabic grammar divided the subject into chapters and sections, making it one of the most modern methods of composition. This is evident in his book Al-Tasheel, especially. Ibn Malik is considered a leading authority in the study of Arabic language sciences. Among his authored books are explanations of Al-Kafiya Al-Shafiya and Al-Alfiya, which are among the most important works. The predominant characteristic of Ibn Malik's style is simplicity and facilitation in all his opinions and approaches. He also distinguished himself by blending the opinions of famous grammatical schools.

As for his sources, he derived them from the Quran, as well as from the various recitations because recitation is a Sunnah (tradition). He also relied on the noble Hadith, which he employed as a linguistic tool. Additionally, he considered poetry as a neutral ground between the Kufi and Basri schools. All of these points have been supported by evidence. It is worth noting that Ibn Malik had unique opinions that set him apart from others. He also had a position regarding terminologies that reflected his independent and innovative approach, breaking free from the idolization of the past.

Keywords: method of renewal, poetry, grammatical schools.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

قدْ حَظيتِ اللُّغةُ العربيَّةُ في كُلِّ قِطرٍ ارتفعتْ فيه رايةُ التَّوحيدِ بالمقامِ الرَّفيـعِ، وبلغتْ في (الأندلس) بصفةٍ خاصَّةٍ ـ مُنذُ أنَّ فتحها الله للمسلمين – مكانـةً مَرموقـةً، فكُتبتْ لــها الغلبةُ على غيرها من اللُّغات، بالرُّغم من اختِلافِ الأجناسِ في تلك البلادِ ؛ يشهدُ بذلك التُّراثُ الأندلسيُّ الغزير في شتَّى أنواعِ العلومِ والمعارفِ، وقـد أدرك أهـلُ الأنــدلس – كغـيرهم من الَّذين أقبلــوا على اعتنــاقِ الإسـلامِ – أنَّه لا سـبيل إلى فهمِ نصوصِ الإسـلامِ، وخاصَّـةً القـرآن الكـريم، إلَّا بإتقـانِ اللُّغـةِ العربيَّةِ، وأنَّه لا سـبيلَ إلى إتقانها إلَّا بدراسةِ النَّحو، فأوْلوه من الاهتمام والعناية الكثيرَ، وتحمَّلوا في سبيل تعلُّمــه مشاق التِّرحال على الـرُّغم من طـول المسـافة، ونـأي الـدِّيار، فتمكَّن كثـيرٌ منهم من تحقيق رغبته، وعادوا إلى بلادهم علماءَ جالبين معهم الكتب المشرقيَّة، فـالتفَّ حـولهَم طــلابُ العلم، تــدفعُهم الرَّغبــةُ في تعلُّم اللُّغــةِ العربيَّةِ، لغــةُ القــرآنِ الكــريم ولغــةُ المسلمين الفاتحين .

وتعاقبتِ الأجيالُ سائرةً على تلك الطَّريـقِ، وسـالكةً ذلـك النَّهج، في ظـلِّ دولٍ دأَبَ رجالاتُها على حبِّ العلم، وتشجيع العلماء، حتَّى تمكَّنت (الأندلس) من تخريج جمهـرة من علماء النَّحو الَّذين عملَ التَّطوُّرُ الزَّمنيُّ على نضوج عقليتهم، فأسهموا بجهـد وافـر في إثراء النَّــحو العربيِّ، وكوَّنوا لأنفسهم منهجا متميزا ظلَّ مع مرور الزَّمن هو المنهجُ السَّائدُ في الدَّرس النحويِّ.

ويعد ابن مالك من هؤلاء،بل أشهرهم حتى يخيل للباحث أن ظهـور ابن مالـك يعـد بداية مرحلة جديدة في تاريخ النحو العـربي، ويتضـح ذلـك من مظـاهر التجديـد الـتي تميز بها ابن مالك عن غيره،من مزج بين آراء النحـاة، حـتى يصـعب على البـاحث أن ينسبه إلى أي مدرسة من المدارس النحوية،ومـع التزامـه بكثـير من قواعـد الأصـول النحوية،إلا أنه خالف البصريين في الكثير منها، وكذلك الكوفيين،وهو الذي أظهـر آراء نحوية لم تكن معروفة لدى السابقين، كما غير وجدد في بعض المصطلحات النحوية، كل هذا [illegible] ة ابن مالك

* : محاضر مساعد - لغة عربية - جامعة عمر المختار- كلية التربية – القبة .

في الأندلس،واهمية ابن مالك المتمثلة في مذهب المزج بين اراء النحـاة،ومـاتى بـه من جديـد في الاستشـهاد الـذي اتخـذ منـه موقفـا محايـدا، فلم يتشـدد كمـا فعـل البصريون، ولم يسـرف كمـا فعـل الكوفيـون،ومـاذكره بعض العلمـاء عن أهميـة ابن مالك العلمية .

والثاني الذي كان بعنوان: التجديد في الآراء عند ابن مالك، وذكرت فيه آراء انفـرد بها ابن مالك عن غيره من النحاة،وهذه خطوة من خطوات التجديد أيضا .

والثالث كان بعنوان:التجديد في المصطلحات، فقد جاء ابن مالك بمصطلحات لم يعرفها سابقوه،ولم ينكرها اللاحقون .

وإن كنت أتحدث عن التجديد عند ابن مالك،أراني مرغما في اتباع التقليـد بمنهجيـة البحوث، فأتمنى أن يقبل هذا العمل في فكرته التي أبحث من خلالها عن التجديــد في كل أعمالنا وكتاباتنـا،ونبتعـد عن التقليـد،من هنـا كـانت أهميـة هـذا البحث بعنوانـه عن التجديد حثا للقارئ والبـاحث على الاطلاع والمثـابرة، حـتى يكـون الكتـاب زاده،والعلم طريقه،والإبداع هدفه.

المبحث الأول : أهمية ابن مالك وتأثره بالمدارس النحوية

لقد التَحمَ الفكرُ الدِّينيُّ بالفكر اللُّغـويِّ، فـالأول ينظـر في القـرآن بحثاً عن علومـه الدينية، والثاني ينظـر في جملـه وألفاظـه بحثـاً عن شـواهده النَّحويَّة واللُّغويـة،ولجـوء أحدهما إلى الآخر قديم قدم نشأة تلك العلوم، وكلما أثمـرت هـذه الجهـود من الثِّمـار، عظمتِ الفائـدة، غـير أنَّ التَّاريخ البشـري على مـداره يـزحم أسـماعنا بضـروب من الخلافـات الفكريـة، وإذا كـان الخلاف اهتـدى إلى القـرآن والقـراءات والعلـوم الدِّينيَّة الأخـرى، فإنَّه لجـدير أنْ يسـلك الطَّريـق نفسـه في عالمنـا النَّحـوي, وأضـحى النُّحـاة يختلفون، ومن هنا تعدَّدت المـدارس النَّحويَّة والاتِّجاهـات، ولكن كـانت الغايـة الحفـاظ على العربية؛ ويرجع سبب الاختلاف إلى اختلاف المدارك والظروف الثَّقافية والنَّفسـيَّة والاجتماعية، وغموض الموضوع في ذاته، وعدم الإلمام بوجهة نظر الآخرين.

ومُنذُ أنْ نشأ الخلاف النَّحوي بين البصرة والكوفـة، قَـوِي الـدفاع عن الـرَّأي، فـدافع البصريون عن آرائهم، وبحثوا في كلام العـرب منثـوره ومنظومـه مـا يؤيِّد لهم رأيـاً، أو يقوِّي حجتهم على خصومهم الكوفيين، وسار الكوفيون على الطَّريق نفسِـه، واتَّسـعت الظَّاهرة النَّحويَّة، وكثر النُّحاة، وكان كلُّ نحويٍّ أوَّلَ شيء يدرسه هو كتاب سيبويه،وقد يحفظه عن ظهر قلب، وهذا ما فعله الكثيرون منهم، ثم آراء البصريين والكوفيين،وقـد يطَّلع على آراء نحاة عصره، ثم يبدأ بعد ذلك في تـرجيح أحـد المـذهبين على الآخـر أو تأييده كاملاً، وقد يرفض رأياً لأحد النحاة بعينه، ويحاربـه حربـاً لا هـوادة فيهـا، ومن هنـا بدأت ظاهرة الآراء النحوية الفردية للنحـاة، فكـلُّ نحـويٌّ لـه آراؤه الخاصَّـة الَّتي تمثـل وجهة نظره ويدافع عنها.

وهذا هو الحال عند ابن مالك فقد كان قويُّ الحجة واسـع الإطلاع، يسـوق أدلتـه في يسر واقتناع، ويقدِّم لتأييد رأيه فيضاً من الآيـات القرآنيـة الكريمـة، والأحـاديث النَّبويـة الشَّريفة، والشِّعر العربي المعتد به، وكلام العرب المنثور، فإنْ لم يجـد نصـاً فيمـا هـو بسبيله اتَّجه إلى القياس يتَّخذ منه حجته ودليله.

ولم يأتِ ابنُ مالك إلَّا والمصطلحاتِ النَّحويَّة قـد تكـاملت، فهـو يسـتعمل المصـطلح البصريَّ أو المصطلح الكوفيَّ، وأحياناً يسـتعمل المصـطلحين معـاً، وفي بعض الأحيـان يستعمل مصطلحاً جديداً جرى النحاة على استعمال غـيره كمـا يقـول عنـد حديثـه عن الضمير: "فمنه واجب الخفاء وهو المرفوع بالمضارع ذي الهمزة أو النـون وبفعـل أمـر المخاطب ومضارعه واسم فعل الأمر مطلقا، ومنه جائز الخفـاء، وهـو المرفـوع بفعـل الغائب والغائبة أو معناه من اسم معنى وصفة وظرف وشبهه" [i] "والجائز هـو الـذي يخلفـه ظـاهر أو مضـمر بـارز" [ii] وهـذان النوعـان همـا المعروفـان بالمسـتتر وجوبـاً والمستتر جوازاً .

وأهميَّةُ ابنُ مالك، لا ترجـعُ إلى هـذه الغـزارةِ في الإنتـاج، بقـدر مـا ترجـع إلى ذلـك المذهبِ النَّحويِّ العميق الأثر في النَّحو العربي الَّذي أقام دعائمه، ورفع قواعـده، وأتمَّ بُنيانه، ومن حُسن حظ ابن مالك أنه قد ظهر بعد أنْ نضجت دراسات النـحو العـربي، واكتملت مذاهبه، وتحدَّدت اتِّجاهات مدارسه، فقد أتاح له ذلك أنْ يكون على صلة بكلِّ المذاهب والاتِّجاهات المتعـدِّدة المختلفـة الَّتي يبـدو – ومن خلال كتبـه – أنَّ صـلتَه بهـا كانت صلةُ وعيٍ دقيـقٍ، وإدراكٍ عميـقٍ، واسـتيعابٍ شـاملٍ لهـا، وذكـاءٍ لامـعٍ، وعبقريَّةٍ مبدعةٍ . فاتِّصال ابن مالك بـالتُّراث الضَّـخم الَّذي خلَّفـه السَّـابقون لم يكن اتِّصـال من يريد أنْ يَعِيه ويستوعبَهُ فحسب، لكنَّه أيضا اتِّصال من يريد أنْ يُضـيف جديـدا إليـه وأنْ يأتي بما لم يستطعه الأوائل، وهو يصرِّحُ به في مقدِّمة كتابه (التَّسهيل) حيثُ يقـول :

" وإذا كانت العلومُ مِنحا إلهيـة، ومـواهبَ اختصاصـية، فغـير مسـتبعدٍ أنْ يُـدَّخر لبعض المتأخرين، ما عُسرَ على كثير من المتقدمين " .[iii]

وكان ابن مالك في النَّحو والتَّصريف بحراً لا يُجارى،وحَبْراً لا يبارى، فكان إمام وقتـه والأستاذ المقدَّم، حتى صار يضرب به المثل في دقائق النَّحو وغوامض الصّـَرف، فكان يقـول عن الشـيخ جمـال الـدِّين بن الحـاجب :" أنَّه أخـذ نحـوه عن صـاحبِ المُفصَّـل، وصاحبُ المُفصَّل نحويٌّ صغيرٌ"

قال الصَّفديُّ :" وناهيك بمَنْ يقولُ هذا في حق الزَّمخشريّ" [iv] .

وأمّا اللّغة فكان إليه المُنتهى من نقل غريبهـا، والاطّلاع على وحشـيها، فصـار إمامـاً فيها، يدل على هذا ما قاله الصَّفديُّ :" أخبرني الشَّيخُ الإمـامُ شـهاب الـدِّين أبـو الثنّـاء محمود (رحمه الله) من لفظه قال :"إنَّ ابنَ مالك جلس يوماً،وذكر ما أنفرد به صاحب المُحكم عن الأزهري في الله" . قلت هذا أمرٌ معجزٌ، لأنَّه يريد أن ينقل الكتابين" [v]

وقـال ابن الجـزْريُّ:"حـدَّثني بعض شـيوخنا أنَّه كـان يجلس في وظيفتـه ــ مشـيخة الإقراء بشباك التربة العادلية ـ وينتظر من يحضر يأخذ عنه، فإذا لم يجد أحداً يقوم إلى الشباك ويقول: القراءات القراءات، العربية العربية، ثم يـدعو ويـذهب ويقـول : إنّـه لا أرى أنّ ذمتي تبرأ إلا بهذا،فإنّه قد لا يعلم أنّي جالس في هذا المكان لذلك " [vi]

ولأنّ ابن مالك كان مُعلِّماً فقد وضع مؤلفاته لتلاميذه، منها الكافيـة الشـافية وضـعها بحلب، والخلاصة "الألفية" وضعها بحماة، والتسـهيل بدمشـق. فكـانت مختصـرة،حيث سلك ابنُ مالك في مؤلّفاته مسلك المعلّم فهو يقول في أوَّل شـرحه للعمـدة :"نسـبة الكلمات من الكلام نسبةحروف الهجاء من الخـط فكمـا أنَّ معلم الخـط يبتـدئ بتبـيين عـدد الحـروف، وأسـمائها،وتميـيز بعضـها من بعض، كـذلك معلم الكلام يبتـدئ عـدد الكلمات وأسمائها وتمييز بعضها من بعض" [vii]

وهو يحاول تقريب المعلومة إلى الذهن بأيسر الطرق، فيقول في علامة الحروف: " أشبه شيء بالكلمات الثلاثة الجيم والخاء والحاء فإنها ثلاث جمل، لاثنتين منها علامتـان وجوديتان،وهما النقطتان، وجعل علامة الثالث خلوه من النقط،فالاسم والفعل بمنزلـة الجيم والخاء في الامتياز بعلامتين وجوديتين والحرف بمنزلة الحاء في الامتيـاز بعلامـة عدمية "[viii] .

وقد وهب الله ابن مالك قدرة فائقة على النَّظم العلمي، فأخرج الكثير من مؤلَّفاتـه النَّحوية واللُّغوية نظمـاً، وجـاء هـذا النظم عـذباً سـائغاً حتَّى يوشـك بعضـه أنْ يضـاهي الشِّعر العاطفي في روعتـه وجمالـه، ولعـلَّ هـذا من أهم العوامـل الَّتي سـاعدت على رواج مؤلّفاته، وبخاصة الألفية الَّتي حجبت أضواؤها، أو كادت أنْ تحجب مـا سـبقها من مؤلّفات النَّحو .

نعرف أنَّ الأساسُ الأوَّلُ في السَّماع هو القرآن الكريم، ولا يوجد مخـالفٌ للاحتجـاج بألفاظـه جميعهـا، وكـذلك القـراءات المتـواترة حتَّى إنَّ بعض مُتـأخري النُّحـاة أجـازوا الاحتجاجَ بالقراءاتِ الشَّاذَّة على الرُّغم مِنْ أنَّ بعضَ المتقـدمين منعـوا الاحتجـاجَ بهـا يقول السُّـيوطيُّ : " أَمَّا القرآنُ فكُلُّ مَا وردَ أَنَّهِ قرئ به جازَ الاحتجاجُ بـه في العربيـةِ، سـواءً أكـانَ مُتـواترا أم آحَـادا أم شـاذًّا، وقـد أطبـقَ النَّاسُ على الاحتجـاجِ بـالقراءاتِ الشَّاذَّة في العربيةِ إِذَا لم تُخـالفْ قياسـاً معروفـاً،َبـلْ ولـو خالفتْـهُ يُحتجُّ بهـا في ذلـك الحرْفِ بعيْنِـهِ، وإنْ لَم يُجـز القيـاسُ عليهـا كمـا يحتجُّ بـالمجمع على ورودِهِ، ومُخالفَتِـهِ القياسُ في ذلك الوارد بعينـه، ولا يُقـاسُ عليـه نحـو : اسْـتحَوذَ ويَـأبَى،ومَـا ذكرْتُـهُ من

الاحتجاج بالقراءات الشَّاذَّة لا أَعَلمُ فيه خِلافاً بين النُّحاة، وإنْ اختُلفَ في الاحتجـاجِ بهـا في اللُّغةِ "[ix].

وبفضل القرآن الَّذي استفاد منه ابن مالك أيضاً- فقد كـان حافظـاً للقـرآن وبارعـاً في القراءات- لهذا اعتمد القرآن مصدراً أوَّلاً في الاستشهاد، وقد اجتهد في ذلك وأبدع في اختيار الآيات المناسبة لكل موضوع، وهو على اطِّلاع واسع بـالقراءات وعلومهـا، وهـذا واضح في استشهاده بالقراءات، ومعرفة أصـحابها المتـواتر منهـا والشَّـاذِّ، فهـو يعتمـدُ اعتماداً كبيراً على الاستشهاد بالقرآن الكريم ويكثر من ذلك ويؤكد عليه، وكيف لا وهـو الذي بدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم، ثُمَّ ازداد معرفة واسعة بالقراءات وعلوم الدِّين واللُّغـة، فقـد أكَّدَ الصَّـفديُّ أنَّه كـان ضـليعاً في القـراءات بقولـه : "كـان إمامـاً في القراءاتِ وعِلَلَهَا " [x] كما أنَّه أَلَّف منظومتين في القراءات : إحداهما دالية والأُخـرى لامية .

- ففي باب العطف مثلا نراه يذكر أكثر من آية في ردِّه على أبي علي الفارسي الَّذي جعل الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف مخصوصاً بالضَّـرورة بقولـه [xi]: " وجعــل أبــو علي الفصــل بين العــاطف والمعطــوف بــالظرف والجــار مخصوصــاً بالضرورة ... وهو جائز في أفصح الكلام المنثور، إنْ لم يكن المعطـوف فعلاً ولا اسـماً مجرورا، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى: " رَبَّنَـا آتِنَـا فِي الـدُّنْيَا حَسَـنَةً وَفِي الآخِـرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَـذَابَ النَّارِ " [xii] وقولـه تعـالى: " إِنَّ اللّـهَ يَـأْمُرُكُمْ أَن تُـؤدُّواْ الأَمَانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُـواْ بِالْعَـدْلِ "[xiii] وقولـه تعـالى: " وَجَعَلْنَـا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا " [xiv] وقوله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ" [xv]

أما القراءات فيعتبر ابن مالك من المتساهلين في الأخـذ بكـل القـراءات، شـأنه في ذلك شأن الكوفيين، وخلافاً للبصريين الذين منعوا الاستشهاد بـالقراءات الشَّـاذَّة، فقـد قال السيوطي عنه :" ابن مالك أخذ بالقراءات الشـاذة،ورد على النحـويين المتقـدمين الـذين يعيبــون على حمــزة وابن عــامر قــراءات بعيــدة في العربيــة وينســبونهم إلى اللحن،وهم مخطئون في ذلك،فإن قراءاتهم ثابتـة بالأسـانيد المتـواترة الصـحيحة الـتي لامطعن عليها وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية " [xvi]

فالقراءةُ عند ابن مالك سُنَّةٌ متَّبعةٌ، والقُرَّاء لا يأتون بشيءٍ من عندهم،بـل يلـتزمون بكل ما نزل على النَّبيِّ – صلَّى الله عليه وسلم – مِنْ الكتـاب المـنزَّل مِنْ عنـد اللـه – سبحانه وتعـالى – وهـو بهـذا ينهجُ نهج سـيبويه ت(188)ه [xvii] الَّذي يـرى أنَّ القـراءةَ سُنَّةً متَّبعـةً بقولـه " وقَـدْ قَـرَأَ بعضُـهم " وَأَمَّا ثَمُـودَ فَهَـدَيْنَاهُمْ " [xviii] إِلَّا أنَّ القـراءةَ لا تُخالفُ لأنَّ القِراءةَ السُنَّة " [xix].

-ردَّ ابنُ مالــك على علمــاء العربيَّة الَّذين كــانوا يعيبــون على عاصــم ت(128)ه [xx]وحمزة ت (156)ه [xxi] قراءات بعيدة في العربية، واختـار جـواز مـا وردت بـه قراءاتهم في العربية، ومن ذلك احتجاجه على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار بقراءة حمزة :" تَساءَلون بِهِ والْأَرْحَامِ"[xxii].

أَمَّا الشِّعر فقد سمع منه ابن مالـك عن العـرب وحفظـه، فهـو يجـيز تقـديم الفاعـل المتلبس بضمير، بينمـا النُّحـاة إِلَّا ابن جِنِّي يمنعـون ذلك[xxiii]،واسـتدلَّ ابن مالـك على جواز ذلك بما سمعه من العرب بقول الشاعر [xxiv]:

وَلَو أَنَّ مَجْدَاً أَخْلَدَ الدَّهَر واحِدَاً مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهرَ مُطْعماً

-ويمنع النحاة تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف الجر، فلا يجيزون في نحو مررتُ بهندٍ جالسةً، مررت جالسةً بهند، وردَّ عليهم ابن مالك بما سمعه من أشعار العرب بقول الشاعر[xxv]:

تَسَلَّيْتُ طُرَّاً عَنْكُمُ بَعْدَ بَيْنِكم بِذِكْراكُمُ حَتَّى كَأَنَّكُمُ عِندِي

-وردَّ على النُّحاة الذين يجعلون (ما) و (مهما) مثل (مَنْ) في لزوم التَّجريد عن الظرفية مع أَنَّ استعمالها ثابت في أشعار العرب الفصحاء كقول الشاعر [xxvi]:

فَمَا تَحْىَ لاِ تسْأَمْ حَياةً وإنْ تَمُتْ فَلاَ خَيْرَ في الدُّنيا ولا العَيْشِ أجْمُعا

هناك من يرى أن ابن مالك في استشهاده بأشعار العرب أتى بالعجائب والغرائب مما يدل على مقدرة كاملة، واطلاع واسع، واهتمام باللُّغة ودقائقها، فقد كان مشهودا له بالعلم والحفظ حتَّى إنَّه رُوي يوم وفاته، أنَّه حفظ ثمانية أبيات .

ومن هؤلاء الرافعي الذي قال :" ولم يشتهر أحد في المتاخرين بالإكثار من تلك الشواهد، والاتساع في حفظها كابن مالك النحوي،وكان قد أخذ العلم بنفسه،وليس له في الانتماء ما لغيره من العلماء، وقال الذهبي في ترجمته : وأما أشعار العرب التي يستشهدون بها على اللغة،والنحو فكانت الأئمة الأعلام يتحيرون فيها ويتعجبون من أين يأتي بها " [xxvii]

ولستُ مع الرَّأي القائل:" إنَّ ابن مالك قد تأثرَّ بالكوفيين فقد احتجَّ بأشعارهم الَّتي رووها، ولم يبال عن أية قبيلة أخذت، ولا عن أية لهجة رُويت، فمادامت هذه الأشعار تنتمي إلى أصل عربي فهي حُجة في الاستشهاد ومصدر في القياس عليها، وتقعيد القواعد على أساسها "[xxviii] .

وما يبدو لي أنَّ ابن مالك لم يأخذ عن الكوفيين إلَّاما كان موثوقا منه ومعروف القائل وكامل الشَّطرين، والدَّليل على قولي ردُّه على الكوفيين استشهادهم بقول الشاعر [xxix]: "

ولكنَّنِي مِنْ حُبِّها لَعَمِيْدُ "

بقوله: " لا حجَّة فيه لشذوذه، إذ لا يعلم له تتمه، ولا قائل، ولا راوٍ عدل يقول: "سمعت ممن يوثق بعربيته، والاستدلال بما هو هكذا في غاية الضعف "[xxx] .

ومن الواضح أنَّه تميز بذكاء خارق وقدرة على الحفظ، فهو الَّذي حفِظ الكثير من الشِّعر وأبدع في اختيار الشَّواهد منه، فهو لا يختار منه إلا ما كان موثوقاً به وقائله معروف.

ابن مالك استشهد بشعر شعراء خرجوا عن النطاق الزمني كالمتنبي عندما استشهد به في إعمال لا فقال " وشذ إعمالها في معرفة في قول النابغة الجعدي رضي الله عنه: [xxxi]

بَدَتْ فعلَ ذى وُدَّ فلما تبعتُها تولَّت وخلَّتْ حاجتي في فؤاديا
وحلَّتْ سوادَ القلبِ لاأنا باغيا سواها ولا في حبها متراخيا

وقد حذا المتنبي حذو النابغة فقال: [xxxii]

إذا الجودُ لم يُرْزَق خلاصا من الأذى فلا المجدُ مكسوبا ولا المالُ باقيا

والقياس على هذا شائع عندي" [xxxiii]

فابن مالك توسع في دائرة الاحتجاج والاستشهاد، فاستشهد بشعراء خرجوا عن النطاق الزمني المعروف،وفي اعتقادي أن استشهاده بهم يأتي على سبيل الاستئناس بالشعراء المجمع على شعرهم، وتقوية لحجته في الاستشهاد وهذا واضح في استشهاده بشعر المتنبي

وأمَّا لُغاتُ العرب فقـد اهتمَّ بهـا ابن مالـك، فقـد ذكـر لغـة هـذيل واسـتدلَّ بهـا في السَّماع بقوله: "الْتَزمَ غَيْر هُذيلَ في نحو : جَوْزةٍ وَبَيْضةٍ سكونَ العين، فَسوَّوا في ذلك الأسـماء والصـفات، وأَمَّا هُـذيل فَسـلكُوا بِهَـذا النَّوع سَـبَيْلَ مَـا صـحَّتْ عينـه، فقـالوا : جَوَزَاتٍ وبيَضاتٍ، كما قالَ جَميعُ العَربِ: تَمَراتٍ وجفَنـاتٍ.وقـالوا في الصـفات:جوْنـات وغيْلات بالسكون كما قال الجميع:ضخْمات وصعْبات " [xxxiv] .

-ويأخذ بلغة طيء في توافق حركة عين الفعـل الماضـي الفعـل المضـارع بقولـه " الأصل توافق حركتي عين المـاضي وعين المضارع، كما فعـل بالأمر والمضارع،....فإن لم يوجد السبب امتنع التوافق،إلاما شذَّ من قولهم:أَبَي أَبَى،ووَذَر يَذرُ،ومـا ألحـق بـأَبَى كجَبَى يَجْبَى،وقلى يقلى،فموجـــه بـــأن الأصـــل:يجْبِي ويقْلِي بكســـر البـــاء واللام ففتحتا،فانقلبت الياء ألفا،وهي لغة طيئ.ولم يحكم على يأبى بذلك،لأنَّه لم يُسـمع فيـه الكسر كما سُمع في:يجبِي ويقلِي.." [xxxv] .

المبحث الثاني : التجديد عند ابن مالك في الآراء

كان ابن مالك من الأئمة المجتهدين في النَّحو، فلم يقف موقف العاجز الحائر، أو موقف المقلِّد التَّابع، لأنَّه استطاع أنْ يعيش على مائدة هذا العلم فترة من الزمن، لم يكن له همٌّ فيها إلاَّ أنْ يستوعب كل ما ورد من العرب، ويدرس كل ما ورد عن النُّحاة، ويقابل هذا بذاك،ويقارن الأقوال بعضها ببعض، فإذا وضُـحت لـه فكـرةٌ خاصَّـةٌ، أو رأيٌ جديد، أو نقد بنَّاء، حرَّرَ ذلك كلّه في منطقٍ قويٍّ وعبارةٍ متينةٍ، وأيَّده بكل ما يملـك من أدلة وبراهين .

---

[i] - التسهيل لابن مالك ص 33

[ii] - شرح التسهيل لابن مالك 1/120

[iii]- مقدمة التسهيل ص64

[iv]4- الوافي بالوفيات للصفدي 3/313، وبغية الوعاة للسيوطي 1/134، ونفح الطيب للمقري 2/424 .

[v]- الوافي بالوفيات 1/443 طبقات الشافعية 2/150 نفح الطيب 2/223

[vi]6-غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري 2/181 وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل 1/7 .

[vii]7-شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك 1/96 .

[viii]8- المصدر السابق1/106.

[ix]- الاقتراح في أصول النحو للسيوطي، ص 36

[x]- فوات الوفيات3/407 الوافي بالوفيات 3/359 وطبقات الشافعية ابن قاضي شهبه 1/96 وشذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي بن أحمد العكري 5/339

[xi]- شرح التسهيل 3 / 384.

[xii]- سورة البقرة، الآية 199

[xiii]- سورة النساء، الآية 57.

[xiv]- سورة يس، الآية 8

[xv]- سورة الطلاق، الآية 12.

[xvi]16- الاقتراح للسيوطي

[xvii]- (هو أبوعمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب ، فارسي الأصل، ولد البيضاء . أخذ عن الخليل ويونس وعيسى والأخفش الأكبر له كتاب مشهور بالكتاب) ، ينظر أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص38 ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص 79 وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص 66 والفهرست لابن النديم، ص 79 ونشاة النحو للطنطاوي ص66

[xviii]- سورة فصلت، الآية 17، وهى قراءة أبي إسحاق .، ينظر معاني القرآن للفراء، 3 / 14 وينظر جمع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، 24 / 61

[xix]- كتاب سيبويه 1 / 148

[xx]- (هو عاصم بن بهدلة ويكنى أبا بكر بن أبي النجود مولى بني حذيفة)، الفهرست، ص 48.

[xxi]- (هو حمزة بن حبيب الزيات . أحد السبعة، وقد قيل إنه ابن عمارة، ويكنى أبا عمارة) الفهرست، ص 49 ومراتب النحويين ص 43

[xxii]- سورة النساء، الآية 1، ينظر معاني القرآن للفرَّاء .1 / 253 ، والمحتسب لابن جني، 1 / 179،ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، 2/ 5

[xxiii]23- ينظر شرح التسهيل 1/161 الأشموني 1/318

[xxiv]- البيت من الطويل والقائل لحسان بن ثابت رضي الله عنه، راجع شرح ديوان حسان ص 454 و شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، 1 / 318 وشرح شواهد ابن عقيل ص 108 شرح شواهدالمغنى 2/875

[xxv]- البيت من الطويل، لم يعرف قائله، شرح الأشموني، 1 / 420، والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، 2 / وشرح التسهيل 2 / 338.

لهذا نرى لابن مالك آراء انفرد بها فى النَّحو، واتجاهات اختص بهـا لم يُقلِّد في هـذه الآراء أحداً ممَّن سبقه، ولم يتَّجه في هذه الاتجاهات وجهـةً معيَّنـةً، بصـريَّةً أو كوفيَّةً أو أندلسيَّةً أو بغداديَّةً.

- عند حديثه عن إضمار كان الناقصـة خـالف الجمهـور بقولـه:" ومثـال إضـمار كـان الناقصة بعد لَدُن قول الشاعر[xxxvi] :

من لَدُ شَوْلاً فإلي إتِّلائها

يصف إبلاً، والتقدير: من لَدُ أن كانت شولاً، كذا يقدره الجمهور، وعنـدي أنَّ تقـدير " أنْ " مستغنى عنه، كما يستغنى عنها بعد مُذُّ" [xxxvii] .

- وفي باب أفعال المقاربة. إنفرد بأنَّ عسى ناقصة دائماً بقوله:" والوجـه عنـدي أنْ تُجعل عسى ناقصة أبداً " فإذا أسندت إلى أنْ والفعـل، وجـه بمـا يوجـه وقـوع حسـب عليها في نحو "أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا [xxxviii] "، فلمَّا لم تخرج حسب بهذا عن أصـلها، لا تخرج عسى عن أصلها بمثل قوله تعالى"وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا "[xxxix] بل يقال في الموضعين: سدَّت أنْ والفعل مسد الجزأين. وبوجه نحو "فَعَسَـى اللّـهُ أَن يَـأْتِيَ بِـالْفَتْحِ [xl]" بأنَّ المرفوع اسم عسى، وأنْ والفعل بدل سد مسد جزأي الإسناد، كما كـان يسـد مسـدهما لـو لم يوجـد المبـدل منـه، فـإنَّ المبـدل في حكم الاسـتقلال في أكـثر الكلام،ومنه قراءة حمزة" وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَـرُواْ أَنَّمَـا نُمْلِي لَهُمْ "[xli] بالخطـاب على جعْل أنَّ بدلاً من الذين وسدت مسد المفعولين في البدلية " [xlii] .

-وفي باب اشتغال العامل، رأى أنَّ الاسم الواقع بعد إذا الفجائية مثل، خـرجت فـإذا زيد يضربه عمر، الرفع دائماً بقوله:"ولا يجوز عندي في زيد وما وقـع موقعـه إلَّا الرَّفـع لأنَّ العرب الزمت إذا هذه ألَّا يليها إلا مبتدأ بعده خبر أو خبر بعده مبتدأ فمن نصب مـا بعدها فقد استعمل مالم تستعمل العرب في نثر ولا نظم" [xliii] .

[xxvi]26- البيت من الطويل القائل عبدالله بن الزبير،شرح الأسموني 2/322، وشرح أبيات مغنى اللبيب 5 / 237 .وشرح التسهيل 4/69

[xxvii]27- تاريخ اداب العرب للرافعي

[xxviii]28-المدرسة النحوية فى مصر والشام في القرنين السابع والثامن،عبدالعال مكرم. ص 251..هذا الرأي لعبد العال مكرم ذكره في هذا الكتاب، ونقلته بنصه للتوضيح .

[xxix]29- هذا البيت لا يعرف قائله وليس له تتمة. شرح الأشموني1/238

[xxx]30- شرح التسهيل، 2 / 29

[xxxi]31-البيتان من الطويل مغني اللبيب 1/256

[xxxii]32-البيت من الطويل مغني اللبيب1/256

[xxxiii]33-شرح التسهيل 1/377

[xxxiv]34-المصدر السابق، 1 / 103

[xxxv]35- المصدر نفسه 3 / 445.

[xxxvi]36- البيت من الرجز لم يعرف قائله, الكتاب 1/264 الدرر اللوامع 1/91

[xxxvii]37- شرح التسهيل ونتائج التحصيل لمحمد بن أبي بكر المرابط 1/365

[xxxviii]38- سورة العنكبوت آية 1

[xxxix]39- سورة البقرة آية 214

[xl]40-سورة المائدة أية54

[xli]41- سورة آل عمران الآية 178، ينظر معاني القرآن للزجاج، 1 / 411 .

[xlii]42-شرح التسهيل 1/394

-وفي باب النداء رفض قول النُّحاة في نحو يا زيدُ زيدُ، البدل في زيد الثانية بقوله: "وذلك عندي غير صحيح لأنَّ حق البدل أنْ يغاير المبدل منه بوجه ما إذ لا معنى لإبدال الشيء من نفسه " [xliv] .

-وأجاز ابن مالك نيابة ثاني المفعولين في باب ظن وأعلم في حين منعه غيره، واشترط لذلك أمن اللبس،ولم يكن ثاني المفعولين جملة ولا ظرفاً ولا جاراً ولا مجروراً. وذلك مثل، ظَنَنْتُ الشَّمسَ بَازَغَةً، ظُنَّتْ بازغةٌ الشمسَ [xlv].

-وفي باب الأحرف النَّاصبة الاسم الرافعة الخبر، وعند حديثه عن أنْ المخففة قال:" قال سيبويه[xlvi] وأما قولهم:" أمَا أنْ جزاك الله خيراً"، فإنَّهم إنَّما أجازوه لأنَّه دعاء، ولا يصلون ههنا إلى قد والسين، ولو قلت: أما أنْ يغفر الله لك, جاز لأنَّه دعاء قال :وسمعناهم يقولون: أمَّا أنْ جزاك الله خيراً، شبَّهوه بأنَّه. وأما قبل أنْ المخففة المفتوحة بمعنى حقاً، كما هي قبل المشددة، وهي بمعنى ألا قبل إنْ المخففة المكسورة . هذا هو مذهب سيبويه رحمه الله " [xlvii] .ثم ذكر رأيه،فقال:" و يجوز عندي أنْ يكون أمَا في الوجهين بمعنى ألَا وتكون إنْ المكسورة زائدة، كما زادها الشاعر في قوله[xlviii]:

أَلا إِنْ سَرَى ليْلى فَبِتُّ كَئِيْباً أُحَاذِرُ أَنْ تَنْأَى النَّوى بِغَضُوبا "

-وعند حديثه عن لا العاملة عمل إنْ قال:" والوجه عندي في لا أبا لك ولا أباك، أنْ يكون دعاء على المخاطب، بأنْ لا يأباه الموت وهذا توجيه ليس فيه من التكلُّف شيء " [xlix] .

- وعند حديثه عن الاستثناء رفض قول النُّحاة أنَّ لاسيما من أدوات الاستثناء بقوله:" وذلك عندي غير صحيح، لأنَّ أصل أدوات الاستثناء هو إلَّا، فما وقع موقعه وأغنى عنه فهو من أدواته، وما لم يكن كذلك فليس منها" [l].

-وفي باب حروف الجر، وعند حديثه عن الباء السببية التي عبر عنها النُّحاة بباء الاستعانة، بين ذلك بقوله: "وآثرتُ على ذلك التعبير بالسببية من أجل الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى، فإنَّ استعمال السببية فيها يجوز، واستعمال الاستعانة فيها لا يجوز " [li] .

-وهو يرى عدم صحة من قال أنَّ الميم المفردة بدل من واو والله في القسم بقوله" زعم بعضهم أنَّ الميم المفردة بدل من واو والله كالتاء، وليس بصحيح، لأنَّها لو كانت بدلاً منها لفتحت كما فتحت التاء، ولأنَّ التاء إذا أبدلت من الواو في القسم فلها نظائر في غير القسم مطردة كاتصل واتصف وغير مطردة كتراب واتجاه وليس لإبدال الميم من الواو إلا موضع شاذ وهو فم " [lii]:

[xliii] 43- المصدر السابق 2/139

[xliv] 44-المصدر نفسه 3/404

[xlv] 45- ينظر المصدر نفسه 2/129

[xlvi] 46- الكتاب 3/167

[xlvii] 47- شرح التسهيل 2/43

[xlviii] 48-البيت من الطويل القائل غير معروف –شرح شواهد المغني للسيوطي 1/25 الدرر اللوامع 1/97

[xlix] 49- شرح التسهيل 2/64

[l] 50-شرح التسهيل 2/318

[li] 51-المصدرنفسه، 3/150

-وهو يرى أنَّ " جَيْر" حرف بمعـني نعم،وبيَّن السـبب بقولـه:"زعم قـوم أنَّ "جيْـر" اسم بمعني حقاً، والصحيح أنَّها حـرف بمعـني نعم، لأنَّ كـل موضـع وقعت فيـه "جـير" يصلح أنْ تقع فيه نعم " [liii]

-وفي باب المعارف، وعند حديثه عن اسم العلم المنقول يرفض أنْ يكون " إِصْـمت " اسم لفلاة، أنْ يكون منقولاً عن الأمر بالصمت بقوله:"لم يرد عن العرب علم منقول من مبتدأ وخبر، ولا منقول من فعل أمر دون إسناد إلا" إِصْـمِت" اسـما للفلاة الخاليـة، فـإنَّ من العلمـاء من زعم أنَّه منقـول عن الأمـر بالصـمت، وذلـك عنـدي غـير صـحيح لوجهين، أحدهما أنَّ الأمر بالصمت إمَّا أنْ يكون من :أَصْمَتَ, وإمَّا أنْ يكون من صَمَتَ، فالـذي من أَصْـمتَ مفتـوح الهمـزة والـذي من صـمت مضـمومها، ومضـموم الميم، وإِصْمت" بخلاف ذلك، والمنقول لا يغيَّر .

والثاني:أنَّه قد قيل إصمته،بها التأنيث ولو كان فعل أمر لم تلحقه هاء التأنيث"[liv]

-وفي باب البدل يمنع إبدال المضمر من الظاهر مثل: رأيت زيداً إياه. والمضمر من المضـمر نحـو، رأيتـك إيـاك بقولـه:"ولم أُمثِّل بهـذين المثـالين إلا جريـاً على عـادة المصنفين المقلد بعضهم بعضاً، والصحيح عندي أنْ نحو:رأيت زيداً إياه لم يستعمل في كلام العرب نثره ونظمه،ولو استعمل لكان توكيداً لا بدلاً" [lv] .

-وفي بـاب العطـف، لا يـرى لكن من حـروف العطـف بقولـه:"ومـا يوجـد في كتب النحويين من نحو. ما قام سعد لكن سعيد، و لاتزُرْ زيداً لكن عمـراً، فمن كلامهم لا من كلام العرب، ولذلك لم يمثل سيبويه في أمثلة العطف إلّا ب"ولكن" وهـذا من شـواهد أمانته" [lvi] .

- وفي باب التنازع، يرى جـواز التنـازع بين فِعْلَيْ التَّعجُّب بقولـه: " والصـحيح عنـدي جوازه لكن بشرط إعمال الثاني كقولك ما أَحْسَن وأعَقـل زيـداً تنصـب زيـداً بأعقـل لا بأحسن، لأنَّك لو نصبته بأحسن لفصلت ما لا يجوز فصله "[lvii] .

-– ذكر ابن مالك في الكافية والتسهيل أنَّ ما ومهما قد يـــردان ظرفي زمان وقـال في شـــرح الكـــافية :" جميع النحويين يجعلون ما ومهما مثل من في لـزوم التجريـد عن الظرفية مع استعمالهما ظـرفين ثـابت في إشـعار الفصـحاء من العـرب " وأنشـد أبياتا منها قول الزبير:[lviii]

فما تحي لا تسام حياة وإن تمت فلا خير في الدنيا ولا العيش اجمعا

وقول حاتم في مهما [lix]

وإنك مهما تغط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

- ويرى ابن مالك أنَّ ونى ورام بمعنى زال الناقصة في العمل قال وهما غريبتان ولا يكاد النحويون يعرفونهما إلامن عني باستقراء الغريب ومن شواهد اسـتعمالهما

[lii] 52- المصدر نفسه 3/203

[liii] 53- المصدر نفسه 3/219

[liv] 54-المصدر نفسه 1/171

[lv] 55- المصدر نفسه 3/332 همع الهوامع للسيوطي 6/220

[lvi] 56- المصدر نفسه 3/343 مغني اللبيب لابن هشام 1/ 307 والهمع 6/263

[lvii] 57- المصدر نفسه2/177

[lviii] 58- البيت من الطويل لعبدالله بن الزبير الاسدي شرح الكافية الشافية لابن مالك 3/1627

[lix] 59- البيت من الطويل لحاتم الطائي شرح الكافية 3/1627

قوله [lx]

لايَني الخِبُّ شِيمةَ الخَبِّ مادا م فلا يحسبنَّه ذا ارعواءِ

[lx] 60- البيت من الخفيف غير معروف شرح التسهيل 1/334

وقوله :[lxi]

إذَا رُمتَ ممن لا يَريم متيما سُلُوًّا فقد أَبْعدتَ في رَوْمِك المرمى

قال: "واحترزت بقولي بمعنى زال من ونى بمعنى: فتر ورام: بمعنى حاول أو تحول انتهى" [lxii]

-وفي قول الشاعر[lxiii]

لولا فَوارِسُ مِنْ نُعْمٍ وأسْرَتُهُم يَومَ الصُّليفاء لم يُوفُون بِالجار

ذهب الجمهور إلى جواز رفع المضارع بعد لم الجازمة، ويرى ابن مالك أنها لغة[lxiv]

المبحث الثالث: التجديد في المصطلحات عند ابن مالك

ولم يكتف ابن مالك بما اختاره من الآراء النَّحويَّة التي انفرد بها عن غيره من البصريين والكوفيين وغيرهم من النحاة؛ بل كان يحب التَّجديد، فقد استنبط من الحديث الشَّريف لغة تضاهي لغة العرب في استشهاد النُّحاة بها، باستشهاده بالحديث الشَّريف "يتعاقبون فيكم ملائكة "، كما

أنَّه نظَّم رؤوس المسائل أبواباً وفروعها فصولاً،وهذا يُعدُّ من أحدث مناهج التَّقسيم في التَّأليف كما تميَّزَ ابنُ مالك بالاجتهاد فقد غيَّر الكثير من المصطلحات التي تعارف عليها النُّحاة السَّابقون، فمن العناوين التي استحدثها .

1-نائب الفاعل بدل المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله. قال أبو حيان "لم أرَ مثل هذه الترجمة لغير ابن مالك "[lxv] وقال الخضري:" وهي أولى وأخصر من قول الجمهور:المفعول الذي لم يُسم فاعله "[lxvi]

2-البدل المطابق. بدلاً من قولهم: بدل كل من كل، قال ابن مالك:" وذكر المطابقة أولى، لأنَّها عبارة صالحة لكل بدل يساوي المبدل منه في المعنى بخلاف العبارة الأخرى، وأنها لا تصدق إلَّا على ذي أجزاء، وذلك غير مشروط لإجماع النُّحاة على إثباته في أسماء الله تعالى كقراء غير نافع وابن عامر [lxvii] " إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهُ " رفع لفظ الجلالة وخفضه"[lxviii]

3-المعرَّف بأداة التعريف: قال الخضري:" هذا أولى من التَّعريف بأل لجريانه على كل الأقوال الواردة في أداة التعريف، كالتعريف بأم عند حمير " [lxix] .

4-المحصور عند ابن مالك . أكثر النُّحاة والبلاغيين على أنَّ المتأخر بعد إلا هو المحصور فيه، والثاني بعد إنما كذلك، قياساً لها على ما وإلا، وقد خالفهم ابن مالك فسمَّى المتأخر محصوراً قال في التَّسهيل:" يجب وصل الفعل بمرفوعه، وإنْ خيف

[lxi] 61- البيت من الطويل غير معروف شرح التسهيل 1/334

[lxii] 62- الهمع 2/67

[lxiii]- البيت من البسيط غير معروف القائل المغني 1/277 الأشموني 2/315 وشرح المفصل لابن يعيش 7/8 وفي شرح أبيات سيبويه للنحاس ص37 (لولا فوارس من ذهل)

[lxiv]- ينظر المغني 1/219

[lxv]- أبوحيان النحوي

[lxvi]- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل 1/167

[lxvii]- سورة ابراهيم آية 2 يخفض في الاعراب ويرفع على الخفض على أن تتبعه (الحميد) والرفع على الاستئناف لانفصاله من الاية " معاني القرآن للفراء 2/67 والرفع قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر والخفض قراءة غيرهم

[lxviii]- شرح الكافية الشافية 3/1274

[lxix]- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل 1/83

التباسه بالمنصوب أو كان ضميراً غير محصور " [lxx] وقال في شرحه:" وإذا كان مرفوع الفعل محصوراً وجب تأخيره، وتقديم المنصوب عند البصريين والكوفيين إلا الكسائي. ويستوي في ذلك المضمر والظاهر، فالمضمر كقوله تعالى:"لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ " [lxxi]والظاهر نحو لا يصرف السوء إلا الله. فلو قلت:لا يصرف إلا الله السوء امتنع عند غير الكسائي..... ثم قال:" فلو قصد حصر المنصوب تأخر وتقدم المرفوع نحو ما أكرم زيدٌ إلا إياك" [lxxii] .

5-لغة يتعاقبون فيكم ملائكة: استعمل ابن مالك هذا المصطلح بدلاً من قولهم " لغة أكلوني البراغيث " فقال في تعريف المبتدأ " وهو ما عدم حقيقة أو حكماً عاملاً لفظياً من مخبر عنه أو وصف سابق رافع ما انفصل وأغنى .....ولا خبر للوصف المذكور لشدة شبهه بالفعل، ولذا لا يصغر، ولا يوصف ولا يُعرَّف، ولا يُثني، ولا يجمع، إلا علي لغة " يتعاقبون فيكم ملائكة""[lxxiii]

وقد بيَّن ابن مالك هذه المسألة في كتابه " شواهد التوضيح" عند حديثه عن الحديث التالي " كُنَّ نساءُ المؤمناتِ يشهدْنَ مع رسولِ الله - صلّى الله عليه وسلَّم - صلاةَ الفجرِ" [lxxiv] قال:" وعلى هذه اللغة قول النبي– صلى الله عليه وسلم- "يتعاقبون فيكم" .

6-ومن الأبواب التي استحدثها ابن مالك في التَّسهيل[lxxv] وشرحه[lxxvi] باب القسم, وباب عطف البيان، وقد سماه سيبويه[lxxvii] نعتاً، ويسميه الكوفيون الترجمة، وباب المعطوف عطف النسق، والكوفيون يقولون باب النسق، وأكثر ما يقول سيبويه[lxxviii]. باب الشركة، وباب أسماء لازمت النداء.

7- ومن الاصطلاحات التي تميز بها ابن مالك عن المغاربة جعله تمييز الجملة مخصوصاً بما وقع بعد جملة فعلية، ويعتبر المفرد ما كان بخلاف ذلك، فقال في التسهيل:" وبنصبه – أي التمييز- مميزه لشبهه بالفعل أو شبهه"[lxxix] .

قال ابن عقيل نحو" هو مسرور قلباً، باشتعال رأسه شيباً، وهذا الذي ذكره المصنف مخالف لكلام المغاربة من جهة جعله هذا من تمييز المفرد، وهم يعدونه من تمييز الجملة، نحو: طاب زيد نفساً، ويخصون تمييز المفرد بما هو عدد أو مقدار فما اصطلح المصنف من جعل تمييز الجملة مخصوصاً بما وقع بعد جملة فعلية, وجعل تمييز المفرد ما كان بخلاف ذلك مخالف لاصطلاحهم" [lxxx]

8-الضرورة عن ابن مالك

[lxx]- التسهيل ص 78
[lxxi]- سورة الاعراف آية 187
[lxxii]- شرح التسهيل 2/134
[lxxiii]- صحيح البخاري ص 130 وشواهد التوضيح ص 190
[lxxiv]- صحيح البخاري ص 1467 ورياض الصالحين
[lxxv]- التسهيل ص 150
[lxxvi]- شرح التسهيل 3/195
[lxxvii]- ينظر الكتاب 1/421
[lxxviii]- ينظر الكتاب 1/437
[lxxix]- التسهيل ص 114
[lxxx]- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل 1/61

أكثر النُّحاة على أنَّ الضرورة ما ورد في الشعر سواء أكان للشاعر عنه مندوحة أم لم يكن له عنه مندوحة، أما ابن مالك فيرى أنَّ الضرورة هي ما ورد في الشعر وليس للشاعر عنه مندوحة، أمَّا ما يمكن أنْ يحلَّ غيره محله مع سلامة النظم فليس ضرورة، فعند الكلام عن الضمير الواقع خبراً لكان أو إحدى أخواتها يقول:" فرجَّح الاتصال لأنَّه أكثر في الاستعمال، ومن الوارد من ذلك في النظم دون ضرورة قول الشاعر[lxxxi]:

كَمْ لَيْثٍ اغِتَرَّ بِي ذَا أَشْبُلٍ غَرَثتْ فَكَانِنِي أَعظْمُ اللَّيثَينِ إقْدَامَا

فقال: فكأنني مع تمكنه أنْ يقول، فكنته أعظم الليثين إقداما،جعل أعظم بدلا من الضمير"[lxxxii]

وعند الحديث عن الموصولات الإسمية المشتركة يذكر " أل " ويذكر أنَّها تدخل على الفعل المضارع مثل قول الشاعر[lxxxiii] :

مَاَ أَنْتَ بِالحَكَمِ الْتُرضَى حَكُومَتُه ولَا الأَصِيْلِ ولا ذِي الرَّأْيِ والجَدَلِ

ويقول الأخر[lxxxiv] :

يقولُ الخَنَا وأَبْغَضُ العُجْم نَاطِقاً إِلى رَبِّنا صَوتُ الْحَمَارِ اليُجَدَّع

ويقول آخر[lxxxv] :

ما كاليُروحُ ويَغْدُو لاهِياً مَرِحَاً مُشمِّراً يَسْتديمُ الحزْمَ ذُو رشَدٍ

وقول آخر[lxxxvi] :

ولَيْسَ اليُرَى لِلْخِلِّ مِثْلَ الَّذي يرى لَهُ الخِلُّ أَهْلاً أَنْ يُعَدَّ خَلِيْلاً

فقال:" وعندي أنَّ مثل هذا غير مخصوص بالضرورة، لتمكن قائل الأول أنْ يقول : ما أنت بالحكم المرضى حكومته، ولتمكن الثاني أنْ يقول: إلى ربِّنا صوت الحمار يُجدع، ولتمكن الثالث أنْ يقول: ما مَنْ يروح، ولتمكن الرابع أنْ يقول: وما من يرى"[lxxxvii].

فابن مالك خالف جمهور البصريين الذين يخصونه بالضرورة وخالف الكوفيين الذين يجيزونه في الاختيار .

إن الأثر الذي تركه ابن مالك أخذ في الظهور تدريجيا، فما قام به ابن مالك من مزج بين الآراء دون ميل أو تعصب لجهة معينة ترك أثرا واضحا على النحويين من بعده وطلاب العلم، وهذا المنهج الذي يعتمد على الطالب والمعلم، هو الأسلوب الامثل في التعليم،كما أن أسلوب التجديد الذي كان يدعو إليه -وهذا واضح في الاصطلحات النحوية التي وضعها والآراء التي تركها مع دعوته المستمرة للتسهيل والتيسير- كل هذا كان له الأثر الواضح في طلاب العلم، ومانراه من شهرة واهتمام لألفية ابن مالك من شرح وتعليق عليها دون غيرها إلا إعجاب بهذا الأسلوب،وماهذه

[lxxxi] - البيت من البسيط لم يعرف قائله شرح التسهيل 1/61

[lxxxii]- شرح التسهيل 1/154

[lxxxiii]- البيت من البسيط القائل الفرزدق العيني 1/111 والدرر 1/61 وخزانة الأدب 1/10 وشرح شواهد ابن عقيل ص23 وشرح شواهد المغني 1/162 وتهذيب اللغة للازهري 1/338

[lxxxiv]-البيت من الطويل الشاعر هو ذو الخرق الطهوي واسمه دينار بن هلال الخزانة 1/14

[lxxxv]- البيت من البسيط لم يعرف قائله الخزانة 1/11 والدرر 1/61 وفيه فرحا بدل مرحا

[lxxxvi]- البيت من الطويل لم يعرف قائله الأشموني 1/161 وشرح أبيات المغني 1/292

[lxxxvii]- شرح التسهيل 1/202

المنـاهج الـتي تـدرس في مدارسـنا وجامعاتنـا من مصـنفات اعتمـدت على التسـهيل والتيسير والتنظيم، إلا أثرا من آثاره التي اصبحت واضحة في تعليمنا المعاصر .

الخاتمة

ماإن ينتهي عالم حتى يأتي عالم جديد يحل محله، وخاصة في اللغة التي فقدت الكثير من علمائها الذين كان لهم الأثـر الواضـح في وضـع قواعـد وأسـس، نهجهـا من بعدهم الكثير من العلماء، غير أننا نلاحظ أن كل عالم غير وبدل وأتى بجديد لم يأت به السابقون،وهذا هو الحال عند ابن مالك الذي مزج بين آراء النحاة جميعا من بصــريين وكوفيين وبغداديين وغيرهم، وهذا الصنيع لم يسبق إليه، وإن لاحظنا أن البغداديين قــد مزجوا أراء البصريين والكوفيين، إلا أن قلة منهم من فعل ذلك أما البقية،فهـو بغـدادي الاسم ومذهبه وميوله إما بصري أو كوفي .

وعلى كل حال فقد اختلف ابن مالـك عنهم أيضـا بأنـه مـزج جميـع الآراء ليسـت البصرية والكوفية فقط، فهو يذكر في كتبه آراء البصريين جميعا،ويخـالفهم في بعضـها ويوافقهم في بعضها الآخر، ويذكر آراء الكوفيين جميعا ويوافقهم في بعضـها ويخـالفهم في بعضها الآخر، وكذلك المصريين والشاميين والأندلسيين حتى يصـعب على البـاحث أن ينسبه إلى مدرسة نحوية محددة، وهو في اختياره للآراء نجده يختار أفضلها وإذا لم تعجبه يأتي برأي جديد من عنده مخالف تماما لما تعارف عليه النحـاة السـابقون، كمـا أخرج مصطلحات جديدة لم يعرفها سابقوه، فهو الذي توسع في الاستشـهاد بالحـديث الشريف وجعل منه لغة، وهو الذي توسع في القـراءات، لأن مبـدأه القـراءة سـنة عن الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم-،وهو الذي توسع في الاستشـهاد بالشـعر، وإن خرج به عن الإطار الزمني، لكنه جعل لـه حـدودا تتمثـل في السـماع عن العـرب وراوٍ ثقة، وهذا العمل الذي قام به ابن مالك هو خطـوة من خطـوات سـار عليهـا غـيره في باب التجديد، إلا أنه زاد عليهم بالتسهيل والبعد عن التكلف في كـل اختياراتـه ، وكثـيرا ما نجد هذه العبارة في كتبه وخاصة في التسهيل وشرحه .

حواشي البحث